جابر يحاضر عن "الكيان السياسي لجبل عامل ما قبل ١٩٢٠"
الكيانية نتاج لعلاقات الطوائف

المحاضرة الخامسة من « صفحات من تاريخ جبل عامل » فتحها امس الدكتور منذر جابر في قاعة اتحاد الكتاب اللبنانيين وكان العنوان « الكيان السياسي لجبل عامل ماقبل ١٩٢٠ »

قدمت المحاضرة خيرية قدوح عضو الهيئة الادارية للمجلس الثقافي للبنان الجنوبي ، منظم المحاضرات ـ الصفحات . ومن مقدمتها :

« لا بد من الاشارة هنا الى ما آلت اليه الحال في يومنا الراهن ، ونحن بصدد الحديث عن امسنا الغابر . فالجنوب اليوم ، اكثر من اي يوم مضى ، عرضة للمصادرة والاقتلاع من موقعه التاريخي و الجغرافي والاجتماعي والسياسي حكما ..فهذه حرب الاستنزاف تتعاظم عنفا واتساعا يوما بعد يوم (...) ورغم ذلك فالمواطن في الجنوب اللبناني متجذر في ارضه ، في ما تبقى من هذه الارض ، مسلح بارادة فولاذية على الصمود الوطني ، دون ان تتصدع من هذه الارادة مواقف المسؤولين في الداخل والخارج ، وان ملأت هذه المواقف نفوس الجنوبيين بالمرارة والغضب لكن لا بد من التساؤل : الى متى ستستمر حالة الفرار من المواجهة الوطنية والقومية على ارض الجنوب ، خط المواجهة الاولى ؟ .

عقب ذلك شرع الدكتور جابر في محاضرته بادئا بملاحظتين اساسيتين :

١ ـ موضوع المحاضرة « الكيان السياسي لجبل عامل ما قبل ١٩٢٠ » وكلمة كيان هنا لا تعني انفصالا وتميزا عن المحيط .

٢ ـ المحاضرة لا تبحث في الظروف الاجتماعية والاقتصادية لنشوء الكيان السياسي ، وانما التركيز الاساسي هو على كيفية انعكاس هذا الكيان على الفكر والممارسة الشيعيتين ، من حيث كون ا لاغلبية العظمى من سكان الجبل من المسلمين الشيعة .

جاء في المحاضرة :

ان علاقة صدامية كانت بين جبل عامل وجبل لبنان منذ عهد فخر الدين الثاني الذي يعتبر بمثابة « قابلة » للتواريخ الخاصة بالمنطقة . فقبل فخر الدين يصعب تصور تاريخ خاص لجبل عامل رغم جهد المؤرخين الشيعة في رصد تاريخ خاص له ، وهو تاريخ يبدو على يد هؤلاء اسلاميا



من المحاضرة (عباس سلمان)

حينا ،عربيا حينا ، مضطهدا في كل الاحيان .والعلاقة الصدامية منذ المعنيين تتابعت مع الشهابيين وهذا ما انزل الشيعة كليا في لعبة المنطقة السياسية والتي كانت في القرنين ١٨ ـ ١٩ على تصادم مع الدولة العثمانية .

ان هذه الاصطدامات مع امراء الجبل ومع باشوات دمشق اعطت الحركة السياسية في جبل عامل بعدا جديدا ، فالاضطهاد المملوكي والايوبي كان منسوبا للسياسة الحاكمة والطاغية ابتداء من كربلاء . اما في القرنين ١٨ ـ ١٩ فان الشيعة في جبل عامل وعوا انفسهم كشيعة محددين في الزمان والمكان من خلال تعاملهم مع مسيحيين ودروز (جبل لبنان) وسنة (آل العظم) وقد انعكس وعي هذا الوجود الطائفي في التسمية الجديدة « المتاولة » والتي اما ان تعود الى اوائل القرن الحادي عشر (١٦٠٠)م او الى اواخره وهذه الكلمة بتفسيراتها المختلفة تبرز الشعار الموحد : الامام علي وآل البيت . وهكذا فبعد ان كان الشيعة كتلة هلامية تمثل الحق المطلق الذي هزم بمقتل الحسين في كربلاء ولن يعود هذا الحق الى نصابه الا مع ظهور الامام المهدي الذي سيملأ الارض عدلا بعد ان ملئت جورا . بعد ان كان الشيعة كذلك اصبح لهم وجود سياسي يتعاملون بكل ادواته وابعاده : السيف والخيل ، الخصم والحليف ، الارض المحرمة على الآخرين ، العز والجاه والوجاهة . يقول الشاعر الزجلي في تلك الفترة :

ما يفوت المير ديرتنا حرام
لو نبت من فوق طربوشو النخل
ما زالي ناقلا للرّمح بيدي
بني متوال في عـز وجاها .

وقد تفاعل وعي الشيعة لتميزهم مع مستجدات القرن ١٧ وما بعده ،فبعد ان كان تميزهم بتمثيل تمذهبهم في المطلق اصبح مع ظروف هذه الفترة تميزا سياسيا ، وهذا ما انعكس في مفهوم « الشهادة » .

لقد قدم الشيعة الشهيد الاول والشهيد الثاني في زمن المماليك كشهداء للتشيع (ليس منا آل البيت من لم يمت مقتولا او مسموما) اما في فترة المعنيين والشهابيين فقد ظهر الشهيد السياسي : مشرف بن علي الصغير ، منصور بن علي الصغير ، ناصيف النصار ، علي منصور المنكري وآخرون غيرهم قتلوا في اماكن من جبل عامل والاسباب محلية متوالية محددة :ثار لشماته ، تهرب من دفع ميري ، انتقام من الشيعة او من الدروز ...

ان ظهور الشهيد السياسي كان يواكب انتظام المتاولة في وحدة سياسية هذه الوحدة التي تدرجت من جمعية لبني متوال في عهد فخر الدين الى كيان سياسي موحد تحت قيادة شيخ المشايخ :ناصيف النصار .

وهنا يجب القول انه ليس بين المتولة في جانبها السياسي المحلي العاملي المتوالي وبين التشيع كمبدأ ديني كوني اي تعارض ، فكل الاحداث التي حصلت مع المتاولة ، مع رؤية كل خلفياتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية لم تكن بنظر المتوالي سوى ان الآخرين يريدون ان ينالوا منه كمذهب وكطائفة ، فيكفي ان يضحي الانسان شيعيا واستطرادا متواليا حتى يكون قد اختصر مسافات زمنية من الايمان . وهكذا صار جبل عامل « ارض التشيع المختارة » بنظر سكانه ، فالدفاع عنه سلطة وحدودا وخيرات هودفاع عن التشيع . كيف لا ! وجبل عامل هو ، بعرف مؤرخيه اول المناطق تشيعا وقد تشيع على يد الصحابي الجليل : ابو ذر الغفاري .